فن تصوير المخطوطات التاريخية العثمانية ((مخطوط تاج التواريخ ـ نسخة المكتبة الأهلية في باريس(١) أنموذجاً))

شيماء جاسم حسين

أ.م.د. إيهاب أحمد إبراهيم

أ.م.د. أسماء حسين عبدالرحيم

ملخص البحث :

لا يخفى على أحد أهمية المخطوطات لما تحويه من معلومات قيمّة تُعين الباحثين على معرفة الكثير عن أخبار الماضي ، فهي تعتبر كمصدر وثائقي و معلوماتي مهم لا سيما إذا ما زودت بصور توضح النص الوارد فيها . وأصبح لفن المخطوطات المزينة بالصور مدارس خاصة بها ، وتمثل الفترة من القرن الخامس عشر وحتى التاسع عشر الميلادي أزهى فترات هذا الفن ، ذلك أنه شهد ازدهار ثلاث من أهم مدارس التصوير ، ومنها المدرسة العثمانية التي لعبت دوراً بارزاً خلال القرن الخامس والسادس والسابع عشر نظراً لطول الفترة الزمنية التي عاشتها (٦٩٩-١٣٤٢هـ/١٣٠٠-١٩٢٤م) ، وغزارة وتنوع ما أنتجته . لاسيما في مجال المخطوطات التاريخية التي حفظت لنا وزودتنا بمعلومات بالغة الأهمية لتفاصيل الكثير من الأحداث التاريخية المختلفة كالحروب التي خاضتها هذه الدولة ، ومراسم تنصيب السلاطين وحفلات الختان وما الى ذلك .

وكان للسلطان سليم الأول نصيباً في تلك المخطوطات ، لما شهده عصره من احداث مختلفة فتناولته مخطوطة تاج التواريخ من ضمن من تناولته من السلاطين بالدراسة من بداية نشوء الدولة العثمانية ، ولتنتهي هذه المخطوطة بعصره . وما دراستنا هذه إلا لبيان هذا المخطوط الغير مؤرخ ومحاولة تأرخته وفقاً لأسلوبه الفني .

يرجع هذا المخطوط لمدرسة التصوير العثمانية والتي حتى القرن ٩هـ/١٥م لم تكن لها شخصية مستقلة لها خصائصها وميزاتها ، ذلك أنه لم يكن لتركيا قبل هذه الفترة مدرسة خاصة في التصوير ، فإن الترك لم تكن لهم في هذا الميدان أساليب فنية موروثة ، إذ أنهم لم يحتفظوا بما كان لأسلافهم في التركستان ، وإنما أصبح جل أعتمادهم على مصورين إيرانيين هاجروا الى تركيا أما نتيجة للعلاقات السياسية والدينية بين الدولتين الصفوية والعثمانية والتي أدت الى نشوب العديد من الحروب

بينهما ، وأما لرغبة الفنان الشخصية في الهجرة الى الدول المجاورة . أو الأعتماد من جانب آخر على مصورين أوربيين استدعاهم سلاطين تركيا الى بلاطهم في استانبول(٢) ، فبعد سقوط مدينة القسطنطينية عام ٨٧٥هـ/١٤٥٣م في يد السلطان محمد الفاتح وأنتقال البلاط العثماني أليها ، كان أن أرسل في طلب مصوري الصور الشخصية من بعض الولايات الايطالية المختلفة مثل نابولي والبندقية ورميني(٣) ، المعروف عنها باعها الطويل في التقاليد الفنية في النحت والتصوير . وعلى أثر ذلك أنتقل عدد من فناني تلك الدول الى أستانبول عاصمة الدولة العثمانية يدل على ذلك قيام بعض هؤلاء المصورين بعمل الكثير من التصاوير ، ومنهم المصور الايطالي "جنتيللي بلليني" الذي صور السلطان محمد الفاتح (٨٥٥-٨٨٥هـ/١٤٥١-١٥١٢م) في تصويرة ترجع لعام ٨٨٤-٨٨٥هـ/١٤٧٩-١٤٨٠م(٤) ، حيث زار أستانبول وعمل فيها تحت رعاية هذا السلطان ، والذي بدوره أرسل المصورين الأتراك الى إيطاليا ليتعلموا فن التصوير الغربي ومنهم المصور التركي سنان بك نقاش(٥) . ولم يستمر التصوير العثماني سائراً بمنهجية التقليد والاقتباس والاستعانة بالمصورين الاجانب ، حيث أن العثمانيون سرعان ما أفادوا مما حولهم فجددوا وطوروا وأضافوا الشئ الكثير مما أظهر مدرسة ذات خصائص مستقلة بذاتها بلغت ذروة تطورها في القرن السادس عشر والسابع عشر الميلادي . وبرزت هذه المدرسة من خلال تنوع ما أنتجته أيادي فنانيها ، وبالتأكيد أن مرد ذلك هو ما كان يوليه السلاطين ووزرائهم وحتى قوادهم من رعاية وأهتمام بهؤلاء الفنانيين وما كانوا يغدقوا به عليهم من الهدايا والهبات .

وأستمر الأهتمام بالفن والفنانين من لدُنّ السلاطين العثمانيين لما عُرف عنهم من حبهم للعلم والعلماء وأهتمامهم بفن الكتاب إيما أهتمام وهو ما دفع السلطان سليم الأول (٩١٨-٩٢٧هـ/١٥١٢-١٥٢٠م) الى جلب العديد من الفنانيين السوريين والمصريين بعد أن قضى على المماليك فيها ، فضلاً عن جلبه عدداً آخر من الفنانيين الأيرانيين من تبريز بعد أن أغار عليها الى عاصمته أستانبول . كما دفع هذا الأهتمام السلطان سليمان القانوني (٩٢٦-٩٧٤هـ/١٥٢٠-١٥٦٦م) الى أنشاء مرسماً للرسم في بلاطه أشترك للعمل فيه مجموعة كبيرة من الفنانين الأتراك والأجانب (٦) . وقد أمدتنا الوثائق التاريخية (٧) في الأرشيف العثماني عن أعداد الفنانيين وأسمائهم ومناصبهم وأجورهم . ليبلغ فن التصوير العثماني أوجه في عهدي السلطانين مراد الثالث (٩٨٢-١٠٠٣هـ/١٥٧٤-١٥٩٥م)، ومحمد الثالث (١٠٠٣-١٠١٢هـ/١٥٩٥-١٦٠٣م) . وهي الفترة التي بلغت بها هذه المدرسة قمة نضجها وأعطت أكلها بمجموعة قيمة من المخطوطات المختلفة العلوم والآداب .

وما مخطوط تاج التواريخ إلا بذرة من بذور تلك المدرسة التي أنتج فنانيها الكثير من المخطوطات في المرسم السلطاني تنوعت بين الدينية والأدبية والفلكية والعلمية ومخطوطات تخص الأساطير ، اضافة الى المخطوطات التاريخية والتي كانت أكثر رواجاً . وأن السبب وراء هذا التنوع في الموضوعات التي يطرقها الفنانون هي إرضاء لنزوات رعاتهم العظام فهم يلبون أول ما يلبون طلبات السلاطين ، ثم يستقبلون طلبات الأمراء وأشراف البلاط وكبار الموظفين (٨) . ولقد سيطر تصوير الأحداث التاريخية أو ما يعرف بـ"السجلات التاريخية" على الفن العثماني في القرن السادس عشر والسابع عشر الميلادي ، والسبب في ذلك كثرة حملاتها العسكرية و الحربية التي خاضتها الدولة العثمانية مع دول عدة ، وهو ما حدا بالمؤلفين للكتابة في هذه الحروب وبطولات السلاطين العثمانيين وتخليد أمجادهم ، وهو ما كان بدوره منهلاً روياً للرسامين في تصوير تلك الأحداث .

وكانت حياة السلطان سليم الأول(٩) (٩١٨-٩٢٦هـ/١٥١٢-١٥٢٠م) ، من المواضيع التي أثارت أهتمام المؤلفين والرسامين على السواء . فكانت جزءاً من المؤلف المعروف بتاج التواريخ ، ويعرف أيضاً بـ "تاريخ خواجة – خواجة تاريخي" لشيخ الإسلام محمد سعد الدين بن حسن جان ابن محمد التبريزي(١٠) الأصل المعروف بـ"خواجة سعد الدين" "ت عام ١٠٠٨هـ/١٥٩٩م" ، والذي تناول فيه المؤلف التاريخ العثماني من أول قيام الدولة الى آخر عهد السلطان سليم الأول(١١) .

وللمخطوط نسخ عديدة منها في باريس في مجموعة جاكيومارت تحت رقم INV. I. 1314، وهي مؤرخة بعام ١٠٢٥هـ/١٦١٦م ، وهي من نسخ ابراهيم بن مصطفى ، وتضم خمسة عشر منمنمة . كما توجد نسخة أخرى تحمل ذات التاريخ محفوظة في مكتبة جامعة أستانبول تحت رقم T. 5970 ، وتضم تسعة منمنمات ، أما نسخة متحف طوبقابي المحفوظة برقم R. 1112 فهي تعود لنهاية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، وتضم تسعة بورتريهات للسلطان(١٢) .

ومن نسخه المزوقة بالمنمنمات واحدة محفوظة في المكتبة الاهلية في باريس تحت رقم ٥٢٤ "مدار البحث" ، ويتناول هذا المخطوط تاريخ السلطان سليم الأول من تسنمه العرش وأغلب الاحداث التاريخية التي وقعت في عهده أبتداءاً من قتله لأخوته ، ومروراً بحروبه ضد الشاه اسماعيل الصفوي ، وقانصوه الغوري ، وإعدامه لطومان باي السلطان المملوكي عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م ، وغيرها من أحداث سلطنته .

تبلغ أبعاد نسخة المخطوط ٢٠,٥x١٥سم ، وهو مجلد مضغوط بجلد محلى بطرة بيضوية ذهبية أزدانت بزخارف بلون أحمر غامق عبارة عن أغصان ملتوية تخرج منها أوراق وأزهار، وأحاطت بالطرة زخرفة في الزوايا الأربعة مماثلة لزخرفة الطرة ، وليحيط بجميع تلك الزخارف أطار ذهبي شُغل بزخرفة الظفيرة . المخطوط مكتوب نثراً بالتركية بخط النستعليق(١٣) ومضمّن لأبيات شعرية تصف الأحداث التاريخية كلاً في موضعه وحسب تسلسلها التاريخي ، ويتألف من ٢٥٨ ورقة ، يتخللها ٣٤ منمنمة(١٤) .

ومن نماذج منمنماته الأربعة والثلاثون **منمنمة رقم ٧٥ ب (صورة رقم ١) :** والتي تصور السلطان سليم الأول جالساً مع زوجة الشاه اسماعيل الصفوي تاجلي خانم بعد أن أخذها أسيرة عقب أنتصاره على الصفويين . فالمعروف تأريخياً أن نار الحرب والكراهية المشتعلة بين الصفويين والعثمانيين لم تهدأ قط (١٥) ، بل كانت تتأجج لأقل الأسباب ، وتوج هذه الأحداث ما قام به الشاه اسماعيل الصفوي(١٦) ، فبعد أن تولى السلطان سليم الأول زمام الأمور في السلطة العثمانية ، أرسل سلاطين الدول وملوكها سفرائهم لتهنئة السلطان سليم بجلوسه على العرش ، ماعدا الشاه اسماعيل الذي كان يرى في سليم مغتصباً للعرش من أخيه احمد الذي قتله سليم فإعتبر السلطان سليم ذلك إهانة فبيت النية على مهاجمة إيران(١٧) الى أن أنتهى هذا الوضع المتأزم بالمعركة الكبيرة بينهما في سهل جالديران(١٨) في ٢٤ أغسطس عام ١٥١٤م ، وكان النصر فيها حليفاً للعثمانيين لما يمتلكوه من مدافع متطـورة يفتقر أليها الجيش الصفوي مما ساعد علـى حسم المعركة لصالح العثمانيون .

وحصل أن أستولى السلطان سليم الأول بعد أنتهاء المعركة على سرادق وعرش و خزائن الشاه التي تضم أكبر الماسات العالمية وأخذ عدداً من قواده أسارى(١٩) ، وكان من ضمن من أسّر زوجة الشاه اسماعيل المعروفة بتاجلي خانم(٢٠) ، والتي رفض السلطان سليم بأن يردّها للشاه ، بل فعل أكبر من ذلك بأن زوجها لأحد كاتبي يده النشانجي المعروف بـ"جعفر بيك جلبي" .

فصورت لنا المنمنمة السلطان سليم الأول جالساً مع الأسيرة تاجلي خانم تحت عقد مفصص زخرفت كوشتيه بزخارف نباتية دقيقة باللون الأزرق الباهت ، فيما كانت حدود الأطار باللون الأصفر الباهت ، وكُتب تحته عبارة "صحراى جلدران" ودون الى جانب هذه العبارة رقم ٧ بالمداد الأحمر وهو تسلسل هذه المنمنمة في المخطوط . جلس السلطان جلسة شرقية ثلاثية الأرباع عن يسار تاجلي خانم متكاءاً الى وسادة صفراء ، مرتدياً قفطاناً تحتاني (رسم رقم ١) بنفسجي اللون

أغلقت فتحة الرقبة بأزرار ذهبية ، زُخرف هذا القفطان باللون الأصفر وشُد من وسطه بحزام ، وفوقه قفطاناً خارجي (رسم رقم ٢) بنصف كم باللون الأخضر المزخرف باللون الأصفر أيضاً ، وعلت رأسه عمامة كبيرة مزينة بقنزعتان(٢١) (رسم رقم ٣) وعقد من الأحجار، ولو أمعنا النظر لشاهدنا أن السلطان رُسم ملتحياً ، فيما يبدو أن شخصاً آخر قام بالرسم بقلم أسود غامق فوق الحاجبين والشارب وقد بالغ بطولهما نحو الخارج ، أخذ السلطان بالنظر الى تاجلي خانم التي جلست مقابلة له بنظرات حادة وهي تثني رجلها اليسرى على الارض فيما تثني رجلها اليمنى وترفعها عن الارض ، أرتدت قميصاً أخضر باهت بأكمام الى المعصمين يعلوها ثوب أشبه بالقفطان برتقالي اللون بزخارف خضراء وشد وسطه حزام أخضر . زين رقبتها عقداً من الأحجار الكريمة ، وعلت رأسها طاقية بهيئة هرم مشطوف القمة أشبه بالتاج (رسم رقم ٤) مزينة بالأحجار الكريمة أيضاً والى جانبها حلية من الياقوت الأحمر كما كُتب الى جانبها ، فيما غطى بقية شعرها قماش مزين بالأحجار وتدلى قرطين طويلين من أذنيها .

<u>أما منمنمة رقم ١٥٩ أ (صورة رقم ٢) :</u> فقد تناولت معركة مرج دابق بين السلطان سليم الأول وقانصوه الغوري(٢٢) ملك مصر ، وهي من الأحداث الأخرى التي أستقطبت أهتمام الفنان . فبعد أن رفض السلطان سليم جواباً من الغوري بالتوسط بينه وبين الشاه اسماعيل الصفوي ، فحصل أن ألتقى الجيشان في منطقة مرج دابق القريبة من حلب(٢٣) من جيشاً مملوكياً يفوق تعداده بعشرين ألفاً عن الجيش العثماني ، لكن الغلبة كانت في النهاية للجيش العثماني لأستخدامه المدافع والتي كانت السبب الرئيس في تحقيقه لجميع أنتصاراته .

فتصور هذه المنمنمة أحداث ذلك اللقاء ، حيث تقابل الغوري مع سليم وهما على ظهري جواديهما دون أقتتال وراح كل منهما ينظر الى الآخر ، وقد أمسك السلطان سليم بدرعه وسيفه الذي كُتب بالقرب منه "سيف حضرت عمر" والذي من الممكن ان يكون للخليفة عمر بن الخطاب "رض" ، واذا صدق هذا الرأي فمن المرجح أن يكون هذا السيف قد أنتقل الى الخزانة العثمانية مع بقية الآثار النبوية "البيرق،السيف،البردة،مفاتيح الحرمين الشريفين" ، التي نقلها السلطان من القاهرة ومكة(٢٤) .

أمسك بلجام جوادي السلطان سليم والملك قانصوه غلمان السراي الذين تميزوا بلباس رأسهم وهو قلنسوة مرتفعة أرتفاعاً بيناً ومخروطية الشكل وقد زودت بريشة مائلة (رسم رقم ٥) ، وقد أمسك كل منهما بفأس أو ما يعرف بالبلطة ، فيما راح شخصان في مؤخرة المنمنمة خلف التلال يعزفان بالأبواق كل منهما يمثل

الفرقة العسكرية(٢٥) لأحد الجيشين ، لكن ما يميز بوق العازف العثماني هو أنه متعرج بشكل يشبه الأفعى(٢٦) ، بينما البوق الآخر مستقيم . وقد أرتدوا قمصان خارجية تصل الى أسفل الركبة شُدت أطرافها في الحزام وبانت منها غلالة بيضاء مزينة بزخارف ، وأسفلها سروال ضيق ليساعدهم على خفة الحركة ، فيما أنتعلوا خفاً بأقدامهم .

وراحت الجنود تتقاتل في مقدمة المنمنمة بالسيوف ذات التقوس الخفيف والسهام التي شُدت أقواسها وهي على وشك الأنطلاق ، وأحتدم الصراع بين الطرفين فهم بين كرّ وفرّ وتساقطت الرؤوس تحت حوافر الخيل وقد رُسمت بشكل بسيط ، وقد دون أسم كل شخص فيهم الى جانبه . ويلاحظ على رسم الأفراد عدم تناسب أجزاء الجسم الواحد مع بعضها البعض ، فالملاحظ كبر الجزء العلوي من الجسم قياساً بالسفلي ، وهو ما يضعنا امام احتمالين ، أما أن يكون الفنان جاهل بقواعد الرسم ونسب الجسم ، وأما أن ذلك ناتج عن ضيق مساحة المنمنمة المخصصة له للرسم .

أما فيما يخص الخيول فهي تركية أمتازت برشاقة القوام طويلة الاجسام وطويلة الرقبة ورفيعة الارجل ، هذا وقد شُدت ذيل بعض الخيول لكي لا تعيق حركتها أثناء الجري .

هذا وقد أحاط بالمنمنمة شريطين كتابيين باللغة التركية من أعلاها نصه " قواسلري ايله قلبكاهده آرام ايدوب وحلب امير الامراسي " ، ومن اسفلها نصه " خيرباي سباه ارتاك واعرابله وجانب سيارده شام امير الامراسي" . وترجمتهما كالآتي : " تم وضع حملة الاقواس واامير امراء حلب خيرباي والسباهية العرب والاتراك في قلب الجيش ، وفي الجانب الايسر امير امراء الشام " .

وعند مطالعة النص يتبين عدم مطابقته من جانب لبعض ما ورد من رسم في المنمنمة ، فخيرباي الذي ورد اسمه في النص ، لم يُرسم ضمن شخوص المنمنمة . إلا أنه طابقه في جانب آخر فأمير أمراء الشام الذي ورد أسمه والمقصود به السلطان قانصوه الغوري شاهدناه أتخذ من الجانب الأيسر مكاناً له .

<u>هذا وتناولت منمنمة رقم ٢١١ ب (صورة رقم ٣) :</u> حدثاً تأريخياً آخر وهو أعدام طومان باي ، فحدث أنه بعد أن قضى السلطان سليم على قانصوه الغوري أن أنتخب طومان باي خلفاً له ، وبعد رفض الاخير الاعتراف بسيادة الباب العالي على مصر ، على أثر ذلك تقابل الجيشان في أكثر من موضع لتنتهي تلك المعارك بتغلب

الجيش العثماني في الريدانية وأسر طومان باي بخيانة بعض من معه وأمر السلطان سليم بأعدامه شنقاً وتم ذلك في ١٣ من ابريل عام ١٥١٧م(٢٧) .

يطالعنا طومان باي معلق على باب زويلة الذي رُسم بهيئة مستطيل فُتحت دفتيه على الجانبين حيث نلاحظ مطرقتين على الجانبين بهيئة حدوة فرس ، فيما زينت كوشتيه زخارف باللون الأحمر والأزرق . عُلق طومان باي بواسطة حبل لُف حول رقبته وأتصل ببكرة متدلية من عتبة الباب . حمل طومان باي ملامح عربية من عيون واسعة وحاجب ولحية سوداء وهي مشابهة لسابقاتها من المنمنمات في الرسم بمداد أسود فوق الحاجبان واللحية والشوارب ، بدت على ملامح طومان باي الحزن لما آل أليه أمره ، وهو عاري إلا من سروال يستر نصفه السفلي ، وقد ربطت يديه الى الخلف ، وكُتب الى جانبه "رحمه الله ملصوب طومان باي" .

أحاط به عن يمينه ويساره السيافين حيث جرد ثلاثة منهم سيوفهم من أغمادها ، فيما أكتفى رابعهم بوضع سبابته في فمه دهشتاً لأمر طومان باي ، ومعهم من حمل دبوساً(٢٨) (رسم رقم ٦) ، وكُتب الى جانبهم أسماء ووظائف بعضهم .

<u>فيما رسمت لنا منمنمة رقم ٢١٨ ب (صورة رقم ٤) :</u> رحلة نهرية للسلطان سليم وبعض من حاشيته وجنوده ، حيث يذكر أوليا جلبي في مؤلفه "سياحتنامة" أن السلطان سليم بعد تحقيقه لأنتصاراته المتوالية في مصر قام برحلة نهرية الى دمياط ومن ثم الى الأسكندرية حيث دخل قلعتها ، وأطلقت نيران المدافع والطلقات المدوية إيذاناً بقدومه(٢٩) ، ففي محاولة من السلطان سليم تطبيق مبدأ الثواب والعقاب ، فنشاهده في هذه المنمنمات وهو يكافأ جنوده لما أبدوه من شجاعة وتحقيق الأنتصار تلو الأنتصار ، بأن أصطحبهم في نزهة بحرية الى الاسكندرية في مصر حسبما ورد في النص التركي الوارد في المنمنمة والذي أحاط بها من الأعلى والاسفل " سمتنه دوان اولديلررايت داور اسكندر در اسكندريه ده جلوه كراولجق برقاج كون اول جاى دلكشاده آرام " ، وترجمتها " وأتجهوا الى حي بمدينة الاسكندرية التي أسسها الاسكندر ، بحيث تظل الراية مرفوعة ظاهرة ومرئية للجميع ومكث هناك بضعة ايام في محاولة للتخفيف عن الجنود واسعادهم ورؤية الأبنية الغريبة والأفنية العجيبة التي تأخذ العين منها العبرة " .

فنشاهد السلطان سليم قد جلس في مقدمة السفينة تحت مقصورتها التي سُقفت بقبيبة صغيرة مضلعة ويعلوها ميل ذهبي ، ورفرفت راية حمراء فوقها ، أتكأ السلطان على متكأ أصفر باهت ورُسم بحجم أكبر من بقية الاشخاص معه ، كما أن نسب جسمه غير متناسقة فنشاهد رأسه كبير ودائري دون رقبة يستند عليها ومما

زاد في حجمه العمامة التي علت رأسه ، فيما كانت يديه صغيرتين . جلس شخص مقابل للسلطان كُتب أسمه الى جانبه "حليم جلبي" ، وجلس خلفه شخصان يبدو أنهما رباني السفينة والتي كانت هنا من النوع المعروف بـ"شهتيه"(٣٠) (رسم رقم ٧) ، فنراها قد أفرد لها شراعين فيما بقي الثالث مطوي لم يفرد على الصارية ، ورفرفت الرايات الخضراء والحمراء ، فيما نشاهد ان المجاديف الحمراء ساكنة لا حركة فيها ولو أنها مالت صوب اليسار .

ويسير أمام سفينة السلطان سليم في مقدمة المنمنمة سفينة أخرى وهي من ذات النوع السابق ورُسمت بالهيئة ذاتها سواء في مقصورتها أو راياتها أو اشرعتها وصارياتها وحتى بألوانها . جلس تحت المقصورة هنا خواجة اوغلي محمد باشا كما مدون الى جانبه بالمداد الاسود ، لكنه يختلف عن السلطان سليم في أن المقصورة هنا حوت جسمه بالكامل عكس السلطان سليم الذي خرج خارجها وكادت قامته ان تصل الى مستوى قبتها . وجلس امام اوغلي محمد باشا شخص كُتب الى جانبه "اسكي ابازه" . غلب على لباس الجميع أنه عبارة عن قفاطين داخلية أو قمصان تعلوها قفاطين خارجية وهي ذات الوان متعددة باهتة . ورُسمت حركة المياه بما يشبه قشور السمك المتعددة الخطوط .

من خلال دراستنا لهذه المخطوطة توصلنا الى الآتي :

- امتازت الرسوم الآدمية بالبساطة كثيراً أذا ما قورنت برسوم القرنين السادس والسابع عشر الميلادي ، فكانت رسوم جامدة لا حركة ولا روح فيها . فحركات الأيدي ونظرات العيون لم تُعبر عن ما يعتري صاحبها من مشاعر أو تواكب حركته أثناء القتال أو الحديث .
- كانت رسوم الخيول أقرب الى الواقعية ، فقد أستخدم الفنان فيها نوعاً ما التجسيم ، فنشاهد ذلك في رسم تقاسيم عضلاتها ، وتناسب نسب أعضائها مع بعضها البعض .
- البساطة في استخدام الالوان التي غلب عليها الألوان الباهتة ومنها اللون البرتقالي واللون البنفسجي الفاتح واللون الاصفر الفاتح ، ويمكن أن نعزو ذلك الى تأكسد تلك الالوان . كما وكانت الالوان خالية من اللون الذهبي والأحمر الذين كانا من الألوان المميزة لمنمنمات هذا القرن السادس والسابع الهجري .
- خلوها من الأراضي المعشوشبة وبالتالي فقدانها لجمالية اللون الأخضر الذي امتازت به منمنمات المخطوطات العثمانية الى جانب الازهار والاثمار والطيور المغردة ، فلا تؤثر في الناظر في جماليتها . باستثناء

شُجيرات بسيطة ، والتي كان بعضها عبارة عن أغصان خالية من الاوراق .

- تسمية شخصيات المنمنمة كلاً بأسمه ، حيث دون أسم كل شخص الى جانبه ، حتى الخدم أو السلحدارية ، بل تعدى الأمر ذكر أسماء الاشخاص الى ذكر أسم الأعلام والخيام السلطانية وسيف السلطان والحلي . ويبدو أن هذه التسميات قد أضيفت في وقت لاحق بالأضافة الى حاجبي وشارب السلطان في بعض المنمنمات والتي كان لونها داكن قياساً بحاجب وشارب بقية الأشخاص ، حيث أعيد الرسم فوقهما بخطوط بسيطة ، ويبدو أنها عُملت بقلم واحداً هي والتسميات . وهي حالة مماثلة لرسوم منمنمات مخطوط "سندباد نامة" التي ترجع لزمن السلطان سليمان القانوني ، حيث عمد أحدهم الى الرسم فوق لحى وشوارب وعيون الأشخاص بالمداد الأسود ، ويبدو أن من قام بهذا العمل جاهل في الرسم ، إذ أن خطوطه كانت غير دقيقة وغير متزنة فهي عبارة عن خطوط متعرجة .
- فقدان الرسوم لمبدأ المنظور ، فالملاحظ أن الفنان أراد أن يبرّز شخصية السلطان على بقية الشخصيات بجعل حجمه أكبر ، وهي سمة فنية غالبة على منمنمات القرن السادس والسابع عشر الميلادي ، ويبدو أن خاصية الرسم هذه أقتبسها الفنان العثماني من فنان المدرسة العربية الذي سبقه بقرون عدة ، وتحيط بالسلطان حاشيته وبقية الأشخاص الذين تراكمت رسومهم فوق بعضها في بعض الأحيان . كما أن نسب رسم جسم الاشخاص غير متناسقة ، فالرؤوس تميل الى كبر الحجم ومما زاد في كبر حجم تلك الرؤوس العمامة فوقها . فيما كانت أحجام بعض الأشخاص صغيرة حتى بدو وكأنهم أقزام .
- خلوها من الفخامة والأبهة سواء في الأثاث والتي كانت عبارة عن سجادة ومتكأ بسيطين ، أو في رسم الملابس والتي كانت لا تختلف بين ملابس السلطان وبقية شخوص المنمنمة الأ في القنزعة والحليات بالنسبة للعمامة ، وبعض الزخارف البسيطة على قفطان السلطان ، وحتى هذه الزخارف شاركه بها بعض الأشخاص .
- نقلت لنا هذه المنمنمات صورة صادقة عن الأحداث التاريخية للدولة العثمانية في زمن السلطان سليم الأول ، وبتسلسل تاريخي .
- يبدو أن بعض منمنمات هذه النسخة لم تكتمل تلويناً ، إذ الظاهر عليها وجود مساحات شاغرة لم تصل أليها فرشاة الفنان ، حتى أن الفنان في بعض الأماكن رسم الزخارف دون أن يلون الأرضية تحتها كما في

السجاد الذي كان يجلس عليه السلطان . وأن عدم اكتمال تلوين المخطوط لأمر ما جعل منها نسخة بسيطة ، ومن المؤكد لو أنها اكتملت لكانت نسخة قيمة جداً ، سيما وأنها اختصت بحياة سلطان واحد .

- ومن ذلك يمكن أن نقول بثقة أن هذه النسخة لم تُعمل للأعتاب السلطانية ، لافتقارها لأبسط مقومات المخطوطات السلطانية والتي أتحفنا فنانوها بروعة رسومها ودقتها ، وغناها بالزخارف واستخدام ماء الذهب ، وروعة خطوطها ، بل أنها حتى لم تصل الى مستوى المخطوطات التي عُملت للصدور العظام أو القوّاد والوزراء أو حتى تلك التي عُملت لرئيس الأغوات . ذلك أن الاهتمام بالمخطوطات نال نصيبه من لدن بعض الوزراء والقادة مما حدا ببعضهم الى الأشراف على أنتاج المخطوطات وإهدائها للسلطان كهدية اعتراف بجميله في تنصيب هؤلاء الوزراء والقادة في تلك المناصب .
- وكميزة غالبة على منمنمات المدرسة العثمانية نراها ضمت نصوص كتابية باللغة التركية داخل إطارات مستطيلة أما في قسمها العلوي أو قسمها السفلي أو في كليهما ، وكانت تلك النصوص مطابقة للمنمنمة في بعض الأحيان ، ومخالفة لها في أحيان أخرى .
- وفقاً للمعطيات السابقة نُرجح أن هذه النسخة ترجع لنهاية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي وبداية القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي . فملامح الأشخاص وحركاتهم الساكنة وقرب العثمانيون في الرسم من أعدائهم سمة مخطوط "ديوان نجاتي" المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨ م أدب تركي والمؤرخ بعام ٩٨٧هـ/١٥٧٩م ، حتى أنها ماثلتها في طريقة رسم القتلى ، كما أن رسم هذا النوع من السفن شهدنا منها الكثير في مخطوطات أخرى . وما يجعلنا نرجح أنجازها في هذه الفترة إذا تذكرنا أن نُسخ مكتبة جامعة استانبول ومتحف طوبقابي ومجموعة جاكيومارت المزوقات بالصور ترجع تواريخها لنهاية القرن السادس عشر وبداية السابع عشر ، أي أنها مزوقة بتاريخ يقارب تواريخ تلك النسخ . وإذا ما تذكرنا أيضاً أن نُسخ دار الكتب المصرية وما تحويه من عدداً من نسخ هذا المخطوط الغير مزوقة ، ما يجعلنا نستبعدها في مسألة المقارنة .

صورة ((رقم ١))

صورة ((رقم ٢))

صورة ((رقم ٣))

صورة ((رقم ٤))

رسم رقم (١) قفطان داخلي "تحتاني" بكم طويل

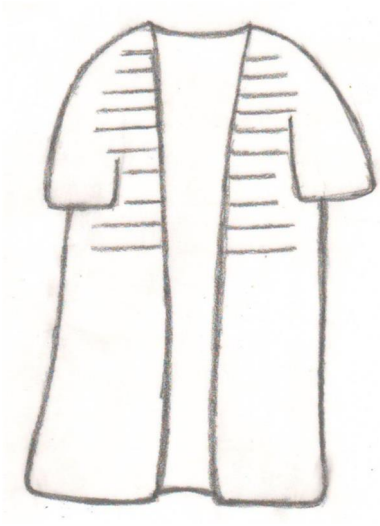

رسم رقم (٢) قفطان خارجي "فوقاني" بنصف كم

رسم رقم (٣) عمامة رأس متعددة الطيات

رسم رقم (٤) غطاء رأس أمرأة بشكل تاج

رسم رقم (٥) قلنسوة غلمان السراي الطويلة

رسم رقم (٦) آلة الدبوس

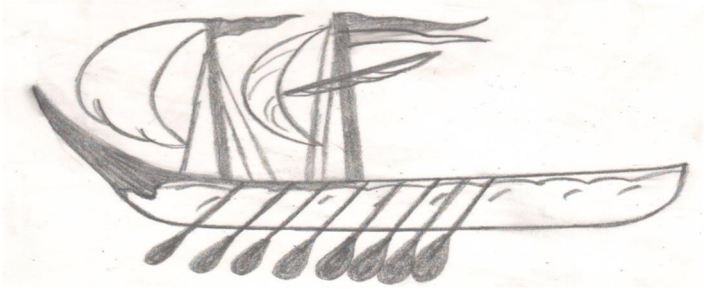

رسم رقم (٧) سفينة شهيته

الهوامش :

١-تحتفظ المكتبة الاهلية في باريس بهذه النسخة من المخطوط تحت رقم Supp. Turc 524

[٢]-حسن،زكي محمد.التصوير وأعلام المصورين في الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،مصر،٢٠١٣،ص٣٩

٣-خليفة،ربيع حامد.مدارس التصوير الاسلامي في إيران وتركيا والهند من القرن ٩هـ/١٥م وحتى القرن ١٣هـ/١٩م،ط١،الجريسي للكمبيوتر والطباعة،٢٠٠٧،ص١٦

[٤]-البهنسي،صلاح احمد.فن التصوير في العصر الاسلامي،ج٣ ، التصوير الصفوي في إيران والعثماني في تركيا والمغولي في الهند، ص٨٨

[٥]-فرغلي،ابوالحمدمحمود .التصوير الاسلامي نشأته وموقف الاسلام منه وأصوله ومدارسه،الدار المصرية اللبنانية،القاهرة،٢٠٠٠،ص٣٤٠

٦-الباشا،حسن.فنون التصوير الاسلامي في مصر،دار نافع ،القاهرة، ص١٥٦

[٧]-نور،حسن.صور المعارك الحربية في المخطوطات العثمانية،رسالة ماجستيرفي الآثار والفنون الأسلامية مقدمة الى كلية الآثار جامعة القاهرة،١٩٨٩،ص٢٦٧-٢٦٩

[٨]-عكاشة،ثروت.موسوعة التصوير الاسلامي،مكتبة لبنان ناشرون،بيروت،ط١، ٢٠٠١،ص٢٤٣

[٩]-ولد السلطان سليم الأول عام ٨٧٥هـ/١٤٨٠م ، جلس على تخت العرش عام ٩١٨هـ/١٥١٢م قتل أخوه أحمد وابنه علاء الدين وليقتل اخوته وسائر اولادهم بعد ذلك . وحصلت مواجهات عديدة بينه وبين الشاه اسماعيل الصفوي وبعدها تقابل مع قنصوة الغوري ملك مصر ، وسار بعد ذلك بمدة الى حلب واستولى عليها وصلى في جامعها الكبير ، توفي في شوال عام ٩٢٦هـ/١٥٢٠م...آصاف،عزتلو يوسف.تاريخ سلاطين آل عثمان من اول نشأتهم الى الآن،طبع بالمطبعة العمومية بشارع عبدالعزيز،مصر،ص٥٢-٥٦ كان شغوفاً بالقراءة ويعرف الألسنة الثلاثة العربية والتركية والفارسية ، وشاعراً يميل الى حسن النظم ، وله دواوين شعرية باللغات الثلاثة العربية والفارسية والتركية...القرماني.تاريخ سلاطين آل عثمان ،تحقيق بسام عبدالوهاب الجابي،دمشق،١٩٨٥،ص٣٦-٤٠

١٠-شغل سعد الدين منصب شيخ الاسلام في الدولة العثمانية ، وكان والده حسن جان بن حافظ جمال الدين حاجباً لسليم الاول خلال السنوات السبع الاخيرة من حكمه ، وقد أملى الوالد على ولده سعدالدين معلومات تاريخية مهمة أنفرد بها عن غيره. كما أن عمله في الدولة جعله يقف عن كثب على مجريات الاحداث ويعد كتاب تاج التواريخ مكملاً لكتاب جلال زادة مصطفى غير انه يفوقه في المعلومات التاريخية وتحريه الدقة في الحدث التاريخي...علي،شاكر علي.ولاية الموصل العثمانية في القرن ١٦م دراسة في اوضاعها السياسية والادارية والاقتصادية،ط١، ٢٠١١،ص١٨

١١-تضم دار الكتب المصرية عدداً من نسخ هذا المخطوط جميعها غير مزوقة ، الاولى مؤرخة بعام ٩٩١هـ/١٥٨٣م برقم ٦٩ تاريخ تركي طلعت ، والثانية مؤرخة بعام ١٠٢٨هـ/١٦١٨م برقم ٢٢- م تاريخ تركي ، والثالثة مؤرخة بعام ١٠٤٢هـ/١٦٣٢م برقم ٥٠٥٧ س ، والرابعة مؤرخة بعام ١٠٥٢هـ/١٦٤٢م برقم ٥٢٦١ س ، والخامسة مؤرخة بعام ١٠٦٩هـ/١٦٥٨م برقم ٤٠ تاريخ تركي طلعت ، كما وتوجد خمس نسخ أخرى ...فهرس المخطوطات التركية العثمانية ، القسم الأول (ا-ح) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٧، ص ٩٠-٩١

12-Atasoy,Gagman.Turkish miniature,pp.84,87,92

And,Metin.Turkish miniature painting the Ottoman period,Istanbul,1978,p.113

١٣- وهو من الخطوط العربية التي شاع استخدامها عند الخطاطين في شرق العالم الاسلامي منذ القرن ٨هـ/١٤م . والنستعليق في اللغة مصطلح منحوت يتكون من كلمتين هما نسخ وتعليق،وتدل هاتان الكلمتان على نوعين من انواعها:النسخ والتعليق، وأختص هذا النوع من الخطوط بكتابة الوثائق الرسمية وكتابة بعض المخطوطات...منصور،(نصار)والشرع،(رائد)والرشدان(وائل).خط النستعليق الجذور التاريخية والخصائص الفنية،المجلة الاردنية للفنون ،مج٦،عدد١، ٢٠١٣،ص ٢٦٠، ٢٦٣

14-Blochet(E.).Catalogue des manuscrits Turcs ,Tome I , Paris,p.383

[١٥]-يرجع الصراع الصفوي العثماني الى القرن ٨هـ/١٤م حينما لجأ امير العراق احمد جلاير الى السلطان بايزيد حينما هاجمه تيمورلنك في بلاده فأرسل الأخير الى السلطان بطلبه فأبى تسليمه إليه فأغار تيمورلنك بجيوشه على بلاد آسيا الصغرى واخذ ابن السلطان بايزيد وقطع رأسه ، فقامت على أثر ذلك حرب تقابل الطرفان فيها في سهل انقرة ليقع السلطان بايزيد وابنه موسى اسارى لدى تيمورلنك ...فريدبك،محمد.تاريخ الدولة العلية العثمانية ،دار الجيل،بيروت،١٩٧٧،ص٥٠

[١٦]-ولد اسماعيل الصفوي عام ٨٩٢هـ/١٤٨٧م وفي الثالثة عشر من عمره سعى للثأر لوالده وتأسيس أسرة حاكمة وأستطاع في عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م أن يجلس على العرش في تبريز ، وبحلول عام ٩١٦هـ/١٥١٠م ، وكان قد أستولى على العراق وفارس وكرمان وهمذان وخراسان ، وشق طريقه شرقاً حتى بلغت خيوة ...ولبر،دونالد.إيران ماضيها وحاضرها ،ترجمة عبدالنعيم حسنين،مراجعة وتقديم ابراهيم أمين الواربي،دار الكتاب اللبناني،بيروت،١٩٨٥،ص٨٦

[١٧]-شرف،مصطفى موسى.قبائل القزلباش ودورهم في العصر الصفوي مع ترجمة كتاب تذكرة طهماسب،رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى قسم اللغة الفارسية وآدابها في كلية الآداب،جامعة عين شمس،١٩٩١،ص١٦٥

[١٨]-تكتب الجيم المثلثة الفارسية . وهو سهل قرب مدينة خوى قرب تبريز عاصمة اذربيجان في غرب إيران ويكتبها الذين يترجمون عن المراجع الاوربية تشالديران ...فلسفي،نصر الله.إيران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي "٩٠٦-١١٤٨هـ/١٥٠٠-١٧٢٦م"،ترجمة وتقديم محمد فتحي يوسف الريس،دار الثقافة للطباعة والنشر،القاهرة،١٩٨٩،ص فه

[١٩]- كتاب تاريخ الاتراك العثمانيين . ترجمة د.حسين لبيب ، ج٢، مطبعة الواعظ،مصر، ١٩١٧،ص ٤٩ ،،، أوزتونا،يلماز تاريخ الدولة العثمانية،ترجمة عدنان محمود ، مراجعة وتنقيح د.محمود الانصاري،مج١،منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ،تركيا، استانبول ،١٩٨٨،ص٢١٨

[٢٠]-وهي أخت السلطان مراد آخر امبراطور لأتراك آقويونلو في أيران والذي كان متزوجا بعمة السلطان سليم ...أوزتونا،المصدر السابق،مج١،ص٢٠٥

[٢١]-القنزعة : خصلة من الشعر تترك على رأس الصبي ، وهي كالذوائب في نواحي الرأس ... ابن منظور،جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/١٣١١م) . لسان العرب ، ج٨ ع-غ ،دار صادر بيروت،لبنان ، ص٣٠٢

[٢٢]-هو الملك الاشرف ابو النصر سيف الدين قانصوه الغوري الظاهري اصله من مماليك الاشراف الظاهر خشقدم ثم انتقل الى الاشرف قائد باي بويع له بالملك عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م ، ومن آثاره انه بنى سور مدينة جدة ودائر الحجر الاسود وبعض أروقة المسجد الحرام ...المحامي،المصدر السابق،ص٧٥

٢٣-اينالجيك،خليل.تاريخ الدولة العثمانية من النشوء الى الانحدار،ترجمة د.محمد الارناؤوط ،ط١،دار المدار الاسلامي،بيروت،لبنان،٢٠٠٢،ص٥٥

[٢٤]-بعد أن قام السلطان سليم بنقل الآثار النبوية الى أستانبول شيد جناح خاص بها عرف بـ"جناح خرقة شريف" لحفظها ...المحامي،المصدر السابق،ص٧٦ ،،، أوزتونا،المصدر السابق،مج١،ص٢٢٥

[٢٥]-يسمى فريق الموسيقى العسكرية "المهتار التركي" ورئيس الفريق "علم مهتار باشي" ويرجع تأسيس هذه الفرقة الى السلطان علاء الدين السلجوقي الذي أرسل طبلة كبيرة للسلطان عثمان الغازي وناي تركي كرمز "للأغا" رئيس المهتار ، ولهذه الفرقة الآت متعددة منها الطبلة الكبيرة وطبلتان مزدوجتان وآلة نفخ والصنج النحاسية ...ابراهيم،سمية.صور الاحتفالات في المخطوطات العثمانية ، رسالة دكتوراه في الاثار الاسلامية مقدمة الى كلية الاثار جامعة القاهرة،١٩٨٣،ص٣٠٥-٣٠٦

٢٦-وتعرف هذه الآلة الموسيقية بالكرنا وهي من انواع الآلات الانبوبية وتأخذ شكل حرف "S" ...نور،صور المعارك،ص٢٦٢

٢٧-أوزتونا،يلماز.موسوعة تاريخ المبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري ٦٢٩-١٣٤١هـ/١٢٣١-١٩٢٢م،ترجمة عدنان محمود ومراجعة وتنقيح د.محمود الأنصاري،مج١،الدار العربية للموسوعات،ط١، ٢٠١٠،ص٢٢٢

[٢٨]-ويسمى ايضاً بالمطرقة والعمود وهو آلة حديدية مستقيمة لها رأس ضخمة وصلبة من الحديد أو من الصلب أو ما شابه وأحياناً من البلور وهي في العادة للفرسان يحملونها في سروجهم ويتقاتلون بها عند الاقتراب وتستعمل في تهشيم الخوذ المعدنية...نور،المصدر السابق،ص٢١٤

٢٩-جلبي،أوليا.سياحتنامة مصر،ترجمةمحمد علي عوني،تحقيق د.عبدالوهاب عزام واحمد السعيد،تقديم ومراجعة د.احمد فؤاد متولي،مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة،٢٠٠٩،ص ١٨٣

[٣٠]-وهي سفينة ذات ثلاثة أشرعة وبها صاري كبير يبلغ طوله بين ٢٩-٣٥ ذراعاً وصاري صغير يتراوح طوله بين ٢٣-٢٧ ذراعاً...البنا،سونيا محمد . الترسانة العثمانية "دار صناعة السفن" من خلال المصادر التركية،مجلة كلية الآداب جامعة حلوان ، العدد١٥ و١٦ ،ج٢، ٢٠٠٤،ص٩٣٦

Abstract

It is no secret the importance of manuscripts_, as it contains valuable information that help researchers to knew a lot about the past News , so. it is considered as an important informational and documentary source , Especially if they provided the pictures illustrate the text contained within. And it became the art of illustrated manuscripts their own schools , Period from the 15th century until the 19th century represent the brightest for this art , So it witnessed the boom of three of the most important painting schools . Including the Ottoman school, which played a prominent role during the 15th , 16th and 17th centuries , Due to the length of this period that experienced (699-1342 AH / 1300-1924 AD) . The large number and diversity of what was produced . Especially in the field of historical manuscripts that have kept for us and provided us with crucial information . concerning A lot of different historical events Details such as The wars of the state, and the inauguration ceremony of the sultans and circumcision ceremonies and so on.

Sultan Selim I shared in those manuscripts, because of his era witnessed various events that concluded in " Tag Eltawarich " manuscript dates from within the of the study addressed the sultans from the beginning of the emergence of the Ottoman Empire, and the end of his age .